

التدبير المنزلي

في مدارسنا ومعاهدنا العلمية نهضة حقيقية تناولت جميع فروع التعليم والتدريس . ولنظارة المعارف على هذه الحركة المباركة يدٌ تُذكرُ مع الشكر الجزيل . وقد أصابت مدارس البنات قسطاً وافراً من هذه النهضة ، وأصبحت تتدرج شيئاً فشيئاً في مدارج الترقى والكمال . ومن المواد التي وجهت إليها النظارة اهتماماً خاصاً ، درس الاقتصاد المنزلي ، ولا يخفى على أحد ما في هذا العلم من الفوائد الجمة

وقد أحيينا بهذه المناسبة ان نقل هنا شيئاً عن مزاوله ذلك التعليم في بريطانيا العظمى اطلعنا عليه حديثاً في إحدى المجلات^(١) لعل النظارة تجد فيه ما يقع لديها موقع الاستحسان

أعارت بريطانيا العظمى ولا سيما انكلترا تعليم تدبير المنزل اهتماماً عظيماً في السنوات الأخيرة ، فشادت عن سعة مدارس المعلمات لهذا الغرض ، وأنشأت في المدارس الابتدائية والثانوية فروعاً خاصة بتعليم الاقتصاد المنزلي . وازدرى فريق من الانكليز ذلك الفن الجليل فانبرى أشهر خطبائهم وأعظم كتابهم لرفع شأنه ، وأعانهم ذوو الأمر بنفوذهم الواسع ، وشددت الحكومة على ربّات المنازل في تدبير منازلهن فن ذلك مثلاً ، أن إحدى المحاكم الانكليزية أصدرت يوماً حكماً على

(١) Le Musée Social: L'enseignement ménager en Angleterre et en Ecosse, par Jeanne Morin.

سيده بالسجن والغرامة وهذه بعض حيثيات الحكم :
 حيث أن زوجة ب . كانت تقضي أكثر أوقاتها أمام وجهات المخازن
 الكبيرة ، تتأمل القبعات والثياب المعروضة فيها ، وماليتها لا تمكنها من
 ابتياع مثل هذه الثياب ؛ وحيث أن جيرانها وبعض مفتشي البوليس
 رأوا رأي العين قذارة بيتها وسوء ترتيبه ، وحيث أنهم رأوا زوجها يكس
 ويفسل بدلاً منها الخ . فقد حكمت عليها المحكمة بالسجن الخ .
 وأصدرت محكمة أخرى حكماً على امرأة بالغرامة لأنها تحققت قذارة
 رأس ابنتها . ولم تكف الحكومة بذلك وبما فاه به الخطباء ، وخطته
 أقلام الكتاب مما يرفع شأن التدبير المنزلي ، بل أشارت بوضع شهادة
 جديدة تدعى « ليسانس الاقتصاد المنزلي » تعدل قيمة « الليسانس »
 في العلوم الأخرى العالية . ولم يلبث أمر هذه الشهادة أن نال أهمية
 كبرى لدى طبقات الانكليز المختلفة . فصار أكثرهم يعتبرها حلية
 المرأة ، والشرط المتمم لتهديتها ، مثرية كانت أو فقيرة . وأصبح اليوم
 الرأي العام يمتدح ما كان بالأمس يذم ، ويعظم ما كان يحتقر . وكانت
 بعض المدارس الثانوية قد أبدت علناً عدم استحسانها لهذا المشروع ،
 ورأت وضع الطبخ في برامجها ازاء اللاتينية واليونانية خطأ من قدر
 العلم . فلم تلبث أيضاً أن انتقدت الى الرأي العام ، إما لاعتقادها بصحته ،
 وإما اضطراراً وخوفاً من إعراض الطالبات عنها

ولم يقعد هذا الفوز الباهر ذوي النفوذ في انكلترا عن متابعة السعي
 في توفير الوسائل التي تجبب الى الشابات تعلم تدبير المنزل والتي تحسنه في

عيون الأفراد ، فأوعزت في « جلوسترشاير » مثلاً الى كل ممرضة من ممرضات المجلس البلدي أن تعود الفقراء ، وتمرضهم مجاناً ، وأن تعلمهم قواعد حفظ الصحة وتنظيف المسكن والملبس ، وأن تترك منزلها مفتوحاً أبداً ليدخله من شاء رؤية حسن تديرها المنزلي . وقد روى بعض من زاروا تلك المنازل « أنها تلمع كالشمس نظافةً وبهجةً رغم بساطة أثامها » ولما كان تعليم الشابة تدير المنزل لا يكفي لجعلها ربّة بيت فاضلة ما لم تكن هي نفسها من متعشقات المنزل ومعيشته وواجباته ، فقد رأت بريطانية أن تُرَبِّي جُبةً في فؤادها منذ الصغر ، وأن تزرع في نفسها — وهي لا تزال خاليةً من كل زرع — ولعاً بالترتيب والتنظيف والاقتصاد لا تؤثر فيه طوارئ الحياة وأدوارها ، فأفسحت لتعليم تدير المنزل مجالاً واسعاً في برامج تعليم مدارس الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية وفي الجامعات الكبرى . فعندما بذلك أمر الاهتمام بشؤون المنزل يُرافق الفتاة كل أيام دراستها ، كما يُرافقها سائر أيام حياتها بعد خروجها من المدرسة إذ تصبح ربّة منزل

﴿ طرق تعليم تدير المنزل ﴾ سبقت ألمانية وبلجيكية وأميريكية بريطانية العظمى الى هذا العلم ، وخبرته السنين الطوال ، ورأت بريطانية أن تستفيد من ذلك الاختبار ، لتتقي الوقوع فيما وقعت فيه تلك الدول من الخطأ ، فوجه وزير المعارف الى تلك البلاد الإرساليات لدرس طريقة التعليم المثلى . ولم يلبث المرسلون أن عادوا اليه بتقاريرهم فعرضها على المدارس ، وأجاز لكل مدرسة ان تختار الطريقة التي تراها ملائمة

لمركزها وظروفها ، عازماً على تقرير أوقافها بالعرض وأحسنها نتيجة في بروجرام المدارس . على ان كل هذه الطرق المتبعة الآن ، وإن فضل بعضها البعض الآخر قليلاً ، طرقٌ حسنةٌ سهلة ، تسير بالطالبة ، خطوة خطوة ، من أول الطريق حتى آخره دون ان تكل أو تملّ

﴿ مدارس الأطفال ﴾ الغالب الآن في هذه المدارس الاقتصار على تعليم الصغيرات إزالة الغبار عن الأثاث ، وترتيب الأمتعة بخلاف هذه المدارس في المانية . فانها تعلمن أيضاً مبادئ غسل الثياب وطبخ الأطعمة

﴿ المدارس الابتدائية ﴾ تُعطى طالباتها في لندره ٦٠ أمثلة في فنّ الطبخ يستغرق كل منها ٣ ساعات ، ولا تأتي التلميذة عليها إلا وتكون قد ألفت علماً بكل أصناف الطعام والحلوى وباصطناع الخبز ، وبطرق حفظ الفاكهة والبقول زمنياً ، وبطبخ بعض المآكل للمرضى والأطفال

و ٤٠ أمثلة في غسل الثياب وكيها على أحدث الطرق بما فيها الثياب الصوفية والملونة ، وفي رتق البالية منها

و ٤٠ أمثلة في تدبير المنزل وتنظيفه ، وفي منع أضرار المراحيض والمداخن وتطهيرها ، ودروساً أخرى في قواعد حفظ الصحة والعناية بالأطفال ، وفي علم الحيوانات والنبات ، وفي طرق معالجة الأمراض والطوارئ الفجائية ، ريثما يحضر الطبيب ، وفي مضار الكحول ، ودروساً في علم الاقتصاد المنزلي ، وتنسيق الصرف على نسبة الدخل

غير أن هذا البروجرام يختلف قليلاً باختلاف المقاطعات ، ففي « جلوسترشاير » مثلاً تراجع الطالبات قبل الانتقال الى المدرسة

الثانوية في ١٠ دروس كل ما تكون قد تعلمته في المدرسة الابتدائية وفي « لينستر » تبدأ الابنة دروسها ، وهي في السابعة من عمرها ، وتُعطى في السنة ٥٠ أمثلة في الطبخ ، يستغرق كل منها ساعة واحدة ، فإذا ما بلغت الحادية عشرة ، تُعطى ٥٠ أمثلة أخرى في الغسل . فتبلغ بذلك ساعات دروسها المئة سنوياً

وفي « ليفربول » تتعلم التلميذات بعض القواعد الصحية عن ظهر قلوبهن ، كما يتعلمن هنا معاً بصوت مرتفع الحروف الهجائية . فمن تلك القواعد التي يرددنها : « من يحفظ فهُ نظيفاً لا تؤلمه أسنانه » و « حيث لا تدخل الشمس يدخل الطيب » . وغيرها من نوعها . أما فيما يختص بتعليمهن العناية بالأطفال ، فإن المعلمة تقودهن فرقاً الى مهد الطفل عند أمه ، حيث تُريهن رأي العين كيفية الاعتناء بالطفل ، وملاحظته ولفه وتسميطه الخ . وقد تمكنت إحدى هؤلاء الطالبات بهذه الطريقة من الاعتناء بأخيها كل الزمن الذي قضته والدتها في المستشفى ، وكان عمره عندما عهد به الى عنايتها ١٤ يوماً

﴿ المدارس المركزية ﴾ ورأت بعض المدارس تمذُر وجود جميع الأدوات والمعدات اللازمة لتعليم تدير المنزل في كل واحدة منها ، فاتفقت على انشاء معهد مركزي عمومي ، اشتركت في تأثيثه ، فتذهب اليه طالبات كل مدرسة منها في مواعيد معينة ، حيث يتعلمن تدير المنزل نظرياً وعملياً وفي هذه المدارس المركزية قسمٌ ليلي لتعليم الشابات

﴿ التعليم في المنازل ﴾ ومتى تقدمت الطالبة قليلاً في هذا الفن

تذهب مرّة في الشهر الى منزل إحدى المعلّمت ، فتُدِيره بمعرفتها ليتسنى لها بذلك تطبيق القواعد العلمية المدرسية على العمل في بيتٍ منفردٍ

وفي « تشستر » و « ليفربول » يؤجّر المجلس البلدى لهذا الغرض بأجرٍ متهاودةٍ منزلاً مؤثماً لمعلّمت المدينة ، مشروطاً عليهنّ في مقابل ذلك أن يكنّ ترتيبه الى تلميذات المدارس الابتدائية . وقد أبدت كثيرات من هؤلاء التلميذات مهارةً عظيمةً ونشاطاً وذكاءً في العمل ؛ وكثيراً ما توصل البعض منهنّ الى اصطناع أبدع أمتعة المنزل من أشياء قديمة بالية لا قيمة لها . فن ذلك أن إحداهنّ أخذت مرّة صندوقاً للشحن ، وكستهُ قماشاً ظريفاً ، وزانته برسوم جميلة ، فكانت منه مكتبة بديعة المنظر تليق بروهة استقبال . وحوّلت أخرى جرابات صوف بالية الى ثوب طفل يصلح للأعياد ، واصطنعت غيرها من علب الحلوى اطاراً للصور متقناً جميلاً . ولا ريب في أن مثل هؤلاء الطالبات يحولن منازلهنّ الى جنّات غناء ولا تُسمّ الابنة دروسها الابتدائية إلا وتكون قد خاطت كل جهازها من القميص حتى القبعة ، ومهّرت كذلك في التمريض والعناية بالأطفال ، وفي الغسل والطبخ ، وفنون الاقتصاد ، واصطناع الأبسطة ، وتنجيد المقاعد والكراسي ، والرسم والتصوير وسائر الأشغال اليدوية

✽ الاقتصاد المنزلي في المدارس الثانوية ✽ لم تُفسح هذه المدارس لتدبير المنزل المجال الذي أفسحته المدارس الابتدائية ومدارس الأطفال ، وذلك لأنّ الطالبة تدخاها وقد أضحّت من فضليات ربّات المنزل ، لا ينقصها إلا النزر القليل ، فتراجع فيها كل ما تعلّمت قبلاً مع التطويل

والإسهاب . وقد أرادت بعض هذه المدارس أن تصبغ علم تدير المنزل بصبغة علمية ، فضمته إلى علمي الطبيعيات والكيمياء ، وزادت فيه تعليم الطالبات كيفية تطبيق المبادئ الكيماوية على الشؤون المنزلية ، فتوسعت في درس المواد التي يتركب منها كل نوع من أنواع الأغذية وكيفية تحويلها الكيماوي بالطبخ والاختمار ، وفحص المأكول بالمجهر ، وطريقة اصطناع المسكرات والحلويات ، ودرس محاولات خاصة بتنظيف الأمتعة والأقشة ، وغسلها من أصواف وأجواخ وحرائر وجلد ورخام وزجاج وخشب ، وكذلك في علم الفسيولوجيا والعلوم الرياضية كالجبر والهندسة ، وعلم المثالثات ، ومبادئ علم الآليات ، وبعض دروس مالية وتجارية ، كتسليف النقود والاسترهان ، وتحرير العقود والصكوك ، ومسك الدفاتر إلى غير ذلك مما يطول شرحه

﴿ مدارس المعلمات ﴾ أما المعلمات المكلفات بالتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية فيتعلمن في مدارس عالية خاصة بتحضيرهن للتدريس تُعدهن للشهادات المنزلية العليا المقبولة من الحكومة ، وتؤهلن للتعليم برواتب تتراوح بين ٧٠ و ٣٠٠ جنيه سنوياً . ولا تقبل هذه المدارس إلا حاملات الشهادات الثانوية . ومن أشهرها مدرسة « كلافام » في لندره ، ومدة التعليم فيها ٣ سنوات . ومما تتناوله دروسها علم الحياة ، وعلم الميكروبات ، والحقوق المدنية ، والاقتصاد ، ومسك الدفاتر

ومن هذه المدارس كلية تدير المنزل في « ايدنبرج » وفيها ، عدا ما تقدم ذكره في الكلية السابقة ، أقسام خاصة بتعليم كل فرع من

فروع تدبير المنزل على حدة ، فتقصده كل فتاة تروم الاختصاص بفرع من هذه الفروع ، وتخرج منه بعد ٦ أشهر بشهادة « مربية أولاد » أو « مدبرة منزل » أو « طاهية » الخ

وتلقى كلية ايدنبرج أيضاً في العاصمة والضواحي محاضرات في حفظ الصحة والمريض والعناية بالأطفال وما شابه ذلك

فكري أن التعليم المنزلي في بريطانيا قد كاد يبلغ حد الكمال وهو لا يزال في طوره الأول ، فإنه في حالته الحاضرة يمكن كل انكليزية من اتقان شؤونها المنزلية ، ويعلمها كيف تؤثث منزلها بنفسها ، فتصنع الأبسطة ، وتجيك قش الكراسي ، وتصلح الأقفال ، وتزين الجدران والأمتعة بالرسوم والنقوش ، وتتعد بنفسها زرع أزهار حديقتها ، وتقي تلك الأزهار في غرف المنزل من الذبول السريع ، وتختار الألوان التي تتفق مع بعضها بعض في تنسيق الأمتعة وترتيبها بذوق يزيد جمالاً ورونقاً ؛ فتجعل منزلها شعاعاً من نور نفسها ، ونسمة من حياتها ، يُنير ويحيي الأفئدة التي يضمها بين جدرانها . ولقد صدق الوزير الانكليزي الذي قال : إن إدارة المنزل جيداً تستدعي من المقدرة والبراعة والذكاء فوق ما تستدعيه ادارة مملكة واسعة »

ولا ريب في أن مثل هذا التعليم في مصر ، يؤثر تأثيراً سعيداً في الحياة العائلية وفي أخلاق الأمة وصحة عقولها وأبدانها ، وفي سلامها ونجاحها ، ويصرف اهتمام شاباتنا عما لا يجديهن نفعاً الى ما يضمن سعادة أسرهن

فهد اسكندر محمود